

مقدمة

من أهم معايير التنظير الجيد، ذلك الجزء المرتبط بتعامل الباحث مع المصطلحات. فإذا كان التنظير يعبر في مضمونه عن قدرة الباحث، التربوي وغير التربوي، على صياغة نسق من العلاقات، التي تكوّن كلا، يتميز في نفسه، ويتميز عن غيره، يحقق هدفا تربويا منشودا. فماذا تكون تلك العلاقات غير الروابط المنعقدة بين مفاهيم بحثه، ومتغيرات دراسته! إنها تلك الأفكار الرئيسية التي تمثل أعمدة البحث، ومفاتيح الباحث في التعامل مع الظواهر المختلفة.

ولما للمصطلح من أهمية كبرى في المجال البحثي للعلوم الإنسانية بعامة، وللتربية على وجه الخصوص، فإن الباحث سوف يتعرض لإشكالية المصطلح، متخذا من الخطاب التربوي الإسلامي مضمارا، يتبين من خلاله، ومن خلال التمثيل، آلية التسمية العلمية (التعريف)، التي تعتبر أساس المنهجية العلمية.

وسوف يمضي مسار البحث على مسارين: الأول: بيان أهمية التعريف والمصطلح من الناحية المنهجية. الثاني: اجتهاد الباحث في محاولة منه لصياغة " نموذجاً للتعريف العلمي " تضبط من خلاله آليات تسمية المصطلح التربوي.

أولاً: أهمية التعريف والمصطلح من الناحية المنهجية

التعريف .. كخطوة أولى

يعد " التعريف " هو الخطوة الأولى التي يجب على الباحث أن يخطوها في بحثه نحو تحقيق منهجية علمية سليمة " فالباحث حين يعثر على فكرة جديدة، أو يتجلى له مفهوم جديد، ينصرف ذهنه إلى التعبير عما في نفسه، تعبيرا دقيقا يبين الفكرة، أو يعرّف المفهوم بالوضوح الكافي، والحجم الصحيح بلا مواربة، ولا تلميح، ولا مبالغة، ولا تقليل، فيلجأ إلى اللغة. ولأن اللغة قلما تتمتع بالمرونة اللازمة، صار لا مناص من ابتكار لغة خاصة بالعلوم تسائر أفكارها وتستوعب آفاقها. ولقد ابتكر علم الرياضيات

لنفسه هذه اللغة. ولغته رموز صارمة صارت العلوم الأخرى تتبارى في استعمالها^١. ومن هنا برز مسمى (المفاهيم) كأحد أوجه اللغة العلمية التي لا بديل عنها وصار المفهوم يعنى اصطلاحاً Concept Meaning مجموعة من الأشياء والرموز، أو الأحداث الخاصة التي تم تجميعها معا على أساس من الخصائص المشتركة والتي يمكن الدلالة عليها باسم أو رمز معين. وبعبارة أخرى فالمفهوم " كلمة أو تعبير تجريدي موجز يشير إلى مجموعة من الحقائق أو الأفكار المتقاربة ". إنه صورة ذهنية يستطيع الفرد أن يتصورها عن موضوع ما حتى لو لم يكن لديه اتصال مباشر مع الموضوع أو القضية ذات العلاقة^٢.

أهمية التعريف في منهج البحث العلمي

ترجع أهمية التعريف في المنهج العلمي، في نظرنا، إلى ثلاث:

١. كونه أحد سمات التفكير العلمي ولا يتم إلا به

الدقة هي أحد أهم صفات العلم، وسمات التفكير المنهجي السليم، ومن أجل الوصول إلى هذه الدقة اللازمة يجب أن يتبع الباحثين لغة علمية خاصة، تفرقها عن اللغة التقليدية الأدبية المألوفة " فمن غير المقبول في العلم أن تترك عبارة واحدة دون تحديد دقيق، أو تستخدم قضية يشوبها الغموض أو الالتباس " والوسيلة التي يلجأ إليها العلم من أجل تحقيق صفة الدقة هذه، هي استخدام لغة الرياضيات. وبالفعل يتبين لنا من خلال دراسة تطور العلم، أنه كلما انتقل إلى مرحلة أدق، أصبح من المحتم عليه أن يستخدم الصيغ الرياضية على نطاق أوسع، وبالعكس تظل العلوم غير دقيقة ما دامت تعبر عن قضاياها باللغة المادية^٣.

١ - أحمد سعيد سعيدان: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، عدد ١٣١، نوفمبر

١٩٨٨م، ص ٢٣

٢ - جودت أحمد سعادة: مناهج الدراسات الاجتماعية، درا العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٤، ص ٣١٤

٣ - فؤاد زكريا: التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد الثالث، ١٩٧٨م، ص ٤٠

٢. أحد ركائز التنظير ولا يقوم إلا عليه

تتحرك إسلامية المعرفة على محورين أساسين أحدهما تنظيري والآخر تطبيقي. ويكاد يكون المحور الأول مدخلا وضروريا للمحور الثاني، فهو الذي يتولى التعريف بالمصطلح ويوضح ضروراته الملحة، ويصنف الحلقات الأساسية للمعرفة^٤. وأية نظرية تسعى إلى خدمة مجتمعات ما، لابد وأن تكون منسجمة في إطارها العام مع قيم هذه المجتمعات^٥. ولهذا يتوجب عند التعامل مع المفاهيم الإسلامية، عدم النظر إليها من خلال مفاهيم الآخرين أو بمنظورهم، بل يجب التعامل معها على أساس من تفردا واستقلاليتها عن غيرها، وأن يتم تعقلها بالاعتماد على منظومة القيم الروحية الإسلامية الحقة، كما جاءت في أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، فتكون هذه القيم معيارا للحكم على المفاهيم قبل إطلاق الصفة الإسلامية عليها^٦. ولعل من المخاطر الثقافية الكبيرة الانحراف بالمصطلحات، والمفاهيم، والشعارات، عن مدلولاتها الصحيحة، والخروج بها عما وضعت له، ليصبح دورها تبرير وتسويغ حالات الركود، والانسحاب والإرجاء والبطالة وانتقاء الفاعلية. ومن هنا قلنا: إن القرون المشهود لها بالخيرية، وتألق العطاء والفاعلية، هي التي تشكل مرجعية الفهم، والتحديد لمدلولات الشعارات والمفاهيم والمصطلحات، وترجمتها إلى أفعال، وتجسيدها في واقع الناس، وأي تفسير يتجاوز ذلك أو ينقصه، أو يخرج عليه، هو نوع من البدع الفكرية، والمفاهيمية، لابد من مراجعتها وتقويمها، وتصويبها في ضوء تلك المرجعية^٧

٤ - عماد الدين خليل: مدخل إلى إسلامية المعرفة، مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ، المعهد العالمي

للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة (٧)، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ١١

٥ - المرجع السابق، ص ١٢

٦ - مفيدة محمد إبراهيم: القيادة التربوية في الإسلام، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٧هـ،

١٩٩٧، ص ٥٢٥

٧ - فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، سلسلة كتاب الأمة، دورية تصدر عن وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد ٤٧، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ص ٢٧

٣. ضرورة يفرضها التجديد التربوي والتأصيل المصطلحي

تفرض الظروف الحالية التي يمرّ بها العالم الإسلامي، مراجعة المفاهيم، وإعادة النظر في المضامين، والوقوف طويلاً أمام المصطلحات للتأمل والتنعم والتحقّق، على ضوء المتغيّرات المتلاحقة التي تطبع حركة التاريخ في هذا العصر، ومن خلال الرؤية الإسلامية المستنيرة المستوعبة لمختلف جوانب الصورة العامة للأوضاع إسلامياً ودولياً ووفق المفهوم الإسلامي للمراجعة، والتطوير، والتحديث، والتجديد. ومؤدى هذا أن يضع "الخطاب التربوي الإسلامي" نصب عينيه أن لكل حضارة ما أصبح يعرف "بالنموذج المعرفي" أو "النظام المعرفي"، فكل إنسان، شاء أم أبى، يستخدم نماذج معرفية تحوي مسلمات كافية ونهائية، وذلك في أبسط عمليات الإدراك، بوعي أو بدون وعي منه، وقد شبه استخدام النماذج باستخدام قواعد النحو أو قواعد الهندسة، فحينما يتحدث الإنسان لغته، وحينما يبني بيتاً (وبخاصة في المجتمعات التقليدية) فإنه يستخدم قواعد النحو أو الهندسة دون معرفة سابقة أو واعية بهما. لذا فإن "أحوج ما نحتاجه هو وقفة نقدية تحليلية أمام (العملة) الأساسية للفكر ألا وهي (المفاهيم) و(الألفاظ) و(المصطلحات)، نضبها ونجليها ونضع لها قواعد التعامل معها وبها حتى نضمن لفكرنا وضوح رؤية يستقيم معها ويصح، فتجيء خطوات العمل في الاتجاه الصحيح".^٨

مصطلح العلوم الإنسانية بين الذاتية والموضوعية

أحد أهم المناطق الشائكة، وأكثرها ضراوة، وأشدّها جدلاً بين أنصار العلوم الطبيعية وأقرانهم في العلوم الإنسانية، هو ذلك الخلاف حول آلية التسمية للمصطلح العلمي المتداول، فعلي حين نجد أن مصطلحات العلوم الطبيعية لا وطن لها، ولغتها موحدة لدى عموم الباحثين في هذا الحقل العلمي أو ذاك، نجد على النقيض من ذلك مصطلحات العلوم الإنسانية، التي تتلون بتلون صاحبها.. فكره واتجاهه، ثقافته وانتمائه

^٨ - سعيد إسماعيل علي: التربية التحليلية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧، المقدمة

مما أورد أكثر هذه المصطلحات موارد الخطأ، وطغى على معظمها - إن لم يكن هنالك مبالغة - مخاطبة العامة دون الخاصة، والوقوع تحت تأثير ذاتية الباحث دون التزام جانب الموضوعية في نحتها " ومثل هذه المصطلحات ذات السمة الذاتية قد تكون صالحة لأن يستخدمها القارئ المتذوق بلا تثريب عليه في ذلك، أما حين يراد لها أن تحل مكانها في طاقم متكامل من المفاهيم والتصورات في مجال الدرس والتحليل فليست صالحة بحال^٩. وذلك لأن " المصطلح هو عقد اتفاق بين الكاتب والقارئ، وشفرة مشتركة يتمكنان بها من إقامة اتصال بينهما لا يكتفاه غموض أو لبس، ولعل فوضى المصطلح هو الداء العضال الذي يتهدد دراسة الأدب ويسلبها جانبا كبيرا من قيمتها الأكاديمية. وإذا شئنا تحديد أعراض هذا الداء قلنا أنها تتمثل في عدم التحديد الواضح للتصور الذي يرمز إليه المصطلح، وعدم اطراد استخدامه بمفهوم واحد بين الدارسين، بل أحيانا لدى الدارس الواحد. أضف إلى ذلك أن السمة الذاتية في نحت المصطلح أمر غالب^{١٠}.

مصطلح العلوم الإنسانية بين الدقة والهلامية

في معرض ورود فكرة جديدة أو مصطلح جديد، لابد من عبارة تحدد بالضبط ما نقصده، بالألفاظ محددة مفهومة، وهذه الألفاظ هي التعريف. وانطلاقا منها نمضي في البحث أو الدراسة. وفي العلوم التجريدية يكون التعريف، مسلمة نفترض صحتها هي مجموعة المبادئ والمفاهيم الأولية التي ينطوي عليها المصطلح الذي عرفناه، وكل ما عدا هذه المفاهيم الأولية تكون نتائج منطقية لها، أو توابع تكشفها الدراسة، أو يفضي إليها البحث^{١١}.

^٩ - سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٥

^{١٠} - المرجع السابق، ص١٥

^{١١} - أحمد سعيد سعيدان: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، مرجع سابق، ص٩

ولأن " المفاهيم والمصطلحات النقدية ليست بنت عصر دون آخر. فكل عصر مصطلحاته ومفاهيمه. لذا فالمصطلحات والمفاهيم، عبر التاريخ تتجه نحو الدقة في الدلالة، وتوحي مع الزمن بشيء من التخصصية والتخصيص. وقد أسهم علم الجمال في تحديد المصطلح النقدي. وأوقف مجانية الاستعمال للمصطلحات والمفاهيم. إضافة إلى تطور الفكر النقدي العالمي، وتداخل النقد بالمعارف والعلوم الإنسانية، الأمر الذي أدخل - بالضرورة - مصطلحات إضافية أكثر تخصصية وأدق دلالة^{١٢}. هذا ما يجب أن تكون عليه بالضبط مصطلحاتنا من الدقة في الدلالة، والتخصصية في المجال. إلا أن واقعنا العربي يفجئنا بما هو النقيض، فمازلت " أبحث مواطن الداء في الثقافة العربية هي عدم الحرص على دقة المصطلح، حتى أن معظم المصطلحات الهامة والخطيرة فضفاضة تتصف بالهلامية، قد تستخدم للدلالة على مدلولات شتى متداخلة أو متقاربة أو متباعدة أو حتى متضاربة. على الإجمال قد يدل المصطلح على أشياء كثيرة فلا يدل على أي شيء محدد ونعجز في معظم الأحيان عن ربط الشيء بمسماه، وبالتالي عن الإتيان بالقول المحكم الدقيق المتفق عليه، وكأننا نعاني فقرا لغويا مدقعا^{١٣}!

مصطلح العلوم الإنسانية بين الكم والكيف

يؤكد الدكتور زكي نجيب محمود، على أهمية الكم دون الكيف في مجال العلم بقوله: " كل لفظة تدل على " كيف " قد تصلح للتفاهم بين الناس في دنياهم العملية ؛ لكنها لا تصلح مصطلحا في المجال العلمي، إلا إذا حدد لها معنى على أساس " الكم " لا على أساس " الكيف ". فدقة المفاهيم في الصياغة العلمية تستوجب أن تكون دلالتها كمية لا كيفية. وليس يقف الأمر عند مجرد تحويل الكيف إلى كم في المفاهيم

^{١٢} - سليمان الأزري: تحديات الفكر والثقافة العربية: في الفكر والأدب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب ،

١٩٩٨، ص ٣٤

^{١٣} - يميني طريف الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية ، تقنيها وإمكانية حلها، القاهرة ، دار الثقافة للنشر

والتوزيع ، ط ٢ ، ١٩٩٦ ، ص ٥

العلمية، وإلا لما كان للأمر خطورة تذكر؛ بل إن هذا التحويل ليستتبع بعد ذلك نتائج بعيدة المدى في بناء العلم وتقدمه؛ لأنك إذا ما حولت مجموعة المفاهيم في علم ما إلى مدلولاتها الكمية، أصبح في استطاعتك أن تحول بعضها إلى بعض تحويلا كان ليكون مستحيلا عليك إدراكه لو أنك وقفت عند حدود الإدراك الفطري الكيفي لها^{١٤} وعلى الجانب الآخر مما أورد الدكتور زكي نجيب محمود، يعرض علينا الدكتور فؤاد زكريا في (التفكير العلمي) ما آلت إليه هذه الإشكالية بين المتنازعين فيها، على النحو التالي " أما في مجال العلوم الإنسانية، فيمكن القول أن النزاع لم يبت فيه بعد، بين أنصار التعبير الكيفي والتعبير الكمي عن الظواهر البشرية. إذ لا تزال توجد حتى يومنا هذا مدارس تؤكد أن الظاهرة الإنسانية مختلفة، من حيث المبدأ عن الظاهرة الطبيعية، ومن ثم فإن أساليب التعبير عن الثانية، لا تصلح للأولى، وإنما يجب أن نحفظ للإنسان بمكانته الخاصة، ونعترف بطبيعته شديدة التعقيد، فلا نفرق في تبسيطها بين باستخدام لغة الرياضيات، وفضلا عن هذا فإن الإنسان كائن فريد، وأهم ما في أي فرد هو العناصر التي يختلف فيها عن الآخرين، لا تلك التي يشترك فيها معهم. ومن هنا كان استخدام لغة الرياضيات يعني إزالة أهم مميزات الإنسان واستبقاء أقل الأشياء أهمية، أعني تلك العناصر المشتركة التي تقبل التعبير عنها بلغة عديدة^{١٥}.

• هل الحصول على تعريف "جامع مانع" في العلوم الإنسانية أمر متعذر؟

يتشائم أحد الباحثين من إمكانية الحصول على مثل نوعية هذا التعريف المفترض: "ومهما يكن من أمر فإن تعريف أي فكرة ضرورة لا مندوحة عنها. على أن التعريف يختلف باختلاف مستوى البحث. لذا فإن السعي وراء تعريف شامل جامع مانع، صحيح من جميع جوانبه قد يفضي إلى جدال عقيم من ضرب تحصيل الحاصل، أو

^{١٤} - زكي نجيب محمود : المنطق الوضعي، ج٢، في فلسفة العلوم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٠،

^{١٥} - فؤاد زكريا: التفكير العلمي، مرجع سابق، ص ٤١

يهوي إلى الدوران في حلقة مفرغة، أو إلى حوار ببيزنطي أشبه بقبض الريح. إنه خسارة كل شيء في سبيل الحصول على لا شيء^{١٦}.

ولعل الدافع- في رأينا - الذي حدا بهذا الباحث إلى مثل هذا الافتراض، الذي ربما تصدق صحته أحيانا، أنه يقصد أن هذا التعذر المفترض حدوثه، هو من باب البحث عن التعريف بالكنه أو الماهية أو طبيعة الشيء المعرف، وهو من هذا الوجه أمر بالغ الصعوبة في العلوم الإنسانية. وهذا ربما يدفعنا وإياه، إلى صرف أنظارنا بدلا من التعريف بالماهية، إلى التعريف بالصفة، أخذاً بنصيحة الشيخ الغزالي: "عندما يعجز الإنسان عن استكناه حقيقة ما، فمن الرشد ألا يحبس نفسه أمام قفل عصي على الفتح؛ بل ينبغي أن يصرف نشاطه من محاوله إدراك الكنه إلى محاولة التعرف على الخصائص والظواهر الميسورة، وإلى تتبع ما دق وجل في هذا المضمار. وهو سوف يستفيد استفادة عاجلة من هذه المعارف التي تيسر تحصيلها ثم من يدرى؟ لعل طول التتبع للخصائص والظواهر يكون مفتاح لما استعصى من معرفة الحقيقة ذاتها..^{١٧}!

• هل التعريفات الإجرائية هي البديل الأمثل؟

التعريف الإجرائي هو " تحديد المفهوم أو المتغير بذكر العمليات أو الإجراءات أو الملاحظات التجريبية التي تدل عليه واللازمة لدراسته ". ويعتبر التعريف الإجرائي على هذا النحو ذا فائدة كبيرة إذ يعطي المفاهيم معاني محددة يمكن الاتفاق عليها، فدافع الجوع هو عدد ساعات الحرمان من الطعام؛ يعتبر هذا التعريف تعريفا إجرائيا لأنه حدد الإجراءات التي أمكن إتباعها لإحداث الظاهرة. مثل هذه الإجراءات يمكن الاتفاق عليها بين الباحثين لأنها ذات معنى متحدد لا جدال فيه. وعلى هذا فإن التعريف الإجرائي يكفل الموضوعية في الدراسة، أي عدم تدخل ميول الباحث وأهوائه في البحث

^{١٦} - أحمد سعيد سعيدان: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤

^{١٧} - محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، القاهرة، دار الاعتصام، ص ٦٣

ذلك لأن تحديد الإجراءات اللازمة لإحداث الظاهرة، وتحديد الوسائل اللازمة لقياسها، تكون موضعاً للاتفاق العلمي بين الباحثين والمشتغلين في الميدان^{١٨}.

غير أن التعريف الإجرائي نفسه بهذه الكيفية الموضحة أعلاه، لم يسلم هو الآخر من نقد واعتراض، وكان من جملة ما لقي من نقد أنه " يضيّق نطاق الظاهرة المراد دراستها، وأن الإفراط في استخدامه ينسي الباحث العودة إلى المفاهيم والتكوينات الأساسية اللازمة للنظريات المختلفة، كذلك فإن الإفراط في استخدامه قد يؤدي إلى تحديد المشكلة تحديداً ضيقاً للغاية بحيث تصبح مشكلة البحث تافهة عديمة الجدوى^{١٩}.

إذن يبقى السؤال محيراً، والإجابة عنه أشد حيرة منه: كيف يسلم الباحث من الوقوع في هوة المصطلحات غير العلمية؟ وكيف يسلس له قيادتها للتعبير الدقيق عما في ذهنه؟ وكيف يوفق في الصياغة بين ما يريده، وبين ما يقبله أهل التخصص؟ وكيف يفلت من أسر الذاتية، إلى رحابة الموضوعية المنهجية؟ والأهم من ذلك كيف يوفق في نحت مصطلح جديد مغزاه، جيد مضمونه، يؤدي إلى تقدم العلم بالإنسان خطوة للأمام؟

ثانياً: رؤية الباحث فيما يتعلق بإشكالية المصطلح بين التسمية والتعريف

التعريف فرع التسمية، وإذا كان المقصود بالتسمية، في نظرنا، " هو وضع اسم لأي شيء، تمييزاً له عن سواه ". فإن التعريف عندنا له دلالة مغايرة، إذ هو:

- " وضع اسم لمُدلولٍ قيد البحث، تمييزاً له عن سواه، بخصوصية معلومة فيه، يقبله أهل التخصص، بلغة محكمة مختزلة".

حدود التسمية وقواسمها مع التعريف

للتسمية جوانب وأبعاد أربع هي على النحو التالي:

١. المسمّي: أي الشخص الذي يقوم بعملية التسمية.

^{١٨} - محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون: مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية،

بالإسكندرية، ١٩٩٧، ص ١٠٤

^{١٩} - المرجع السابق، للاستزادة صفحات من ١٠٥، ١٠٧

٢. المسمّى له: الشخص أو الجمهور الذي يسأل عن التسمية أو من يستقبلها.
٣. المسمّى: وهو الشيء نفسه المطلوب تعريفه أو تسميته .
٤. طريقة التسمية : أي منهجيتها التي تقوم عليها .

المسمّى	باحث
المسمّى	مبحوث (= متغيرات البحث، شواغل الدراسة)
المسمّى له	مُتلقي (= جمهورٌ متخصص، أهل العلم، محكّمين)
طريقة التسمية	منهجية التسمية (= قواعد التعريف)

جدول رقم(١) أركان التعريف العلمي

متى تكون التسمية جامعة مانعة؟

تكون التسمية جامعة مانعة عند العامة، إذا شفيت غليل المسمّى له (وهو الجمهور الذي يستقبل التسمية)، فالمهم هو أن تحظى التسمية برضا المستقبّل، سواء أصابت حقيقة ما أسمته صفة كان أم كنهاً، أم لم تصبه. سواء أطابقت الحقيقة أم لم تطابقها، المهم والمعيار في ذلك - لديهم - هو افتراق التسمية عما يشابهها أو يماثلها. إن التسمية حينئذ هي أشبه بالبناء الأفقي المتجاور لوحدات سكنية على السطح، فليست العبرة بشكل ما تَبْنِي، أو مطابقتها لمواصفات البناء، أو حصوله على التأشيرات اللازمة من المختصين، بقدر ما يكون مهماً، نسبة هذا البناء لمالكه، وحصوله على رقم (نمرة) تميز عنوانه عن عنوان غيره من الوحدات السكنية الأخرى.

في الفرق بين التسمية والتعريف

إذا كانت علة التسمية وغايتها، تقف فقط عن حدود تمييز المسمّى، وقبول المسمّى له بأي آلية كانت، فإن الأمر، ولا شك، يأخذ أبعاداً أخرى في التعريف العلمي، إنه يتوقف على عوامل أخرى غير ما تتوقف عليه التسمية، وإليك بيانها:

شروط صحة التعريف العلمي في نظر الباحث:

عُودٌ إلى مفهومنا السابق عن التعريف وهو:

- " وضع اسم لمدلولٍ قيد البحث، تمييزاً له عن سواه، بخاصية معلومة فيه، يقبله أهل التخصص، بلغة محكمة مختزلة " .

يضع الباحث تصورا ونموذجا، لشروط صحة التعريف في العلوم الإنسانية، يقوم على أسس وركائز خمس، تمثل كل واحدة منها معيارا وعمودا من أعمدة بناء المصطلح، ويتكاملها يتحدد الشكل النهائي لبناء ونقد المصطلح.

والشروط الخمس هي:

١. شرط الممارسة = (.. لمدلولٍ قيد البحث)

يفترق التعريف عن التسمية - فيما يتعلق بأمر الممارسة - بشيئين:

- أن الثانية يقوم بها غير المتخصص (أي شخص يسمي) .
 - أن أي شيء ممكن أن يُسمى (فليست التجربة ولا الممارسة واجبة فيه).
- وهكذا نجمل النقطتين السابقتين في جملة واحدة (أي شخص يسمي ما يريد).
- أما في التعريف العلمي، فقبل أن يُسأل عن التعريف يُسأل عن قائله، فنسبة التعريف إلى قائلة مثله في الأهمية نسبة المولود إلى والده، ليس هذا فحسب، بل لابد للمسمي (واضع التعريف) من الممارسة، والمزاولة، والتجربة، والدربة، في المجال الذي يهيئ نفسه للتقعيد فيه. وبطريقة أخرى ، نقول: أن أمر الخبرة شرط في التعريف، لأنه كما سيأتي بعد في بقية الشروط: أن يُقبل التعريف من أهل التخصص، فكيف يقبل تعريف من لا يتحدث لغة أهله؟ وكما يقول الدكتور مصطفى السباعي: " إن مشكلات الطائر لا يحس بها إلا طائر مثله ^{٢٠} " .

^{٢٠} - مصطفى السباعي: هكذا علمتني الحياة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤١٨هـ،

١٩٩٧م، ص ٤٤

الخلاصة: إن التحليل الدلالي لجملة: (.. لمدلول قيد البحث) التي وردت في التعريف يُستنتب منها أمران: وجود باحث، ومبحوث. المبحوث هو الظاهرة أو المتغير موضوع الدراسة، والذي يحاول الباحث أن يسميه أو يعرفه، أو أن ينحت له مصطلحا يميزه عما سواه في حقل المفاهيم. ولا بد من تلازم واقتران لا تتفك عراه بين المبحوث والباحث حتى يتحقق له جودة ما يريد.

تنوع التسمية تبعا لاختلاف المسمي وما يسميه

وبهذا ينقسم التعريف تبعا، للمعرّف ونوعية المُعرّف إلى:

- تعريف يضعه متخصص، أو (تسمية) من غير المتخصص.
- تعريف لمدلول أو لظاهرة أو لمتغير قيد الدراسة، أو (تسمية) لأي شيء يخطر ببال المسمي، فيلظفه في غير وعي أو روية.

٢. شرط الممايزة (التميز والتفرد) = (.. تمييزا له عن سواه)

تشعب العلوم على هذه الكثرة المعهودة، وتشابك حلقاتها على نحو يلغى الفواصل بينها، يفرض على الباحث الدقة العلمية اللازمة بخصوص التعريف الذي يرتضيه، حتى لا يختلط هذا المفهوم بجملة المفاهيم في حقله، فضلا عن امتزاجه بحقول قريبة التماس منه. وهذا ما نقصده بشرط الممايزة، فالواقع العلمي يؤكد اختلاط المفاهيم العلمية، واقتربها في الدلالة من مدرسة لأخرى، فربما أخذ التعريف العلمي دلالة ما عند مدرسة، ثم لما انتقل لأخرى تغيرت الدلالة في معناه بالزيادة فيه أو بالنقص منه، بالحذف أو بالإضافة. ولسنا بحاجة لأمثلة فالواقع العلمي زاخر بالكثير منها. وبصورة أكثر دقة نقول: إنه لا بد من تشابه بين المصطلحات، قديمها وجديدها، وهذا الشرط يركز على أوجه التمايز، لا الشبه، الذي يفرق هذا التعريف عن سواه، مما يجعله، قائما بنفسه، متفردا في دلالته عما قد سبقه، وعما هو يمكن أن يتبعه.

ولا يتحقق شرط الممايزة عندنا إلا بتحقق نظرتين في اتجاهين اثنين:

• النظرة الأفقية باتجاه المفاهيم الموجودة على الساحة، وتبين موقع هذا المصطلح من جملة المصطلحات القريبة منه أو البعيدة عنه.

• النظرة الرأسية باتجاه العمق، والتي يحاول الباحث فيها أن يؤصل لمفهومه، وذلك باختيار الموقع المخصص له، بالعمق الذي يمكن أن يبلغه، لتتحقق فيه الأصالة التي ينشدها، والثبات - النوعي - الذي يرغب فيه.

تنوع التعريف تبعاً لموقعه من جملة المفاهيم المتداخلة معه

وبهذا ينقسم التعريف تبعاً، لأوجه التداخل والتماس أو الافتراق والتميز عن غيره من جملة المفاهيم إلى:

• تعريف متفرد، متميز، يفترق عن سواه بخاصية من جنسه.

• تعريف متداخل مع غيره، يصعب فك الإشكالية المتعلقة به مع سواه.

٣. شرط المطابقة (بالكنه أو بالصفة) = (بخاصية معلومة فيه)

التسمية عند العامة لا تخضع لقاعدة ما، وليس شرط أن يوجد رابط أو علاقة بين الاسم الذي تسميه، والمسمى الخاص به، أي أنها في جملتها تخضع لخيال المسمى ومزاجه، دون أدنى نظر لتوافق الدلالة مع ما به يُستدل عليه. أما في التعريف العلمي، فشرط المطابقة فيه بين الدلالة والمدلول أمر مهم. فالتعريف يلخّص، ويُجمل، صفات المعرّف بذكر أحد أو جميع خصائصه التي لا تنفك عنه. والتطابق بين التعريف، والمعرّف لا يخرج عن كونه واحداً من أربعة: طبيعته وكنهه، صفته وخصائصه، وظيفته وفائدته، نسبته إلى غيره، وفيما يلي شرحه وبيانه:

للتعريف طرق عدة هي على النحو التالي :

١. التعريف بالطبيعة (أو الكنه أو الماهية)

٢. التعريف بالصفة (أبرز صفة)

٣. التعريف بالوظيفة

٤. التعريف بالنسبة (أو بالعلاقة)

أولاً : التسمية بالطبيعة أو بالكنه أو بالماهية

التعريف بالطبيعة هو أن يعرف الشخص شيئاً ما بحقيقة مادته – إن كان مادة – فمثلاً حين يعرف شخصاً ما السكين بأنها: " قضيب من حديد " لم يخطئ ، بيد أنه لم يُبلِّغ، فكل سكين هي في الغالب قضيبٌ من حديد وإن اختلفت سماته وخصائص صناعته؛ غير أنه ليس كل قضيب من حديد هو سكين فهو بذلك وإن لم يخطئ التعريف؛ إلا أنه يصب الحقيقة كاملة ولم يشف علة السائل أو السامع، وذلك لاشتراك غير السكين معها في الطبيعة. لذا وجب عليه – إن أراد الإبلاغ على وجه الدقة والحقيقة – أن يُزِدَ التعريف بالتسمية تعريفاً بالصفة، يحدد معناه ويقربه .

• هل من السهل التسمية بالماهية في العلوم الإنسانية؟

في العلوم الطبيعية، من السهل أن تُسمى الأشياء بطبيعتها، حيث كفل المنهج التجريبي والتحليلي من السبل والوسائل التي تجعل من أمر التعرف على مكونات الشيء وجزئياته، مما يجعل أمر تسميته بطبيعته سهل ميسور. أما في العلوم الإنسانية، فمن الصعب تعريف الشيء بكنهه وحقيقته، فكيف نعرف (الروح أو النفس أو العقل، أو الذكاء ..) بطبيعتها، أو ماهيتها؟ إن التسمية بالكنه تستلزم الشهود، والمعاناة لطبيعة هذا الذي تسميه، أما وهو شيء غير قابل للتعيين، فكيف نسميه إذا بكنهه؟ إنه ضرب من الخيال !! لذا فمن الأولى، عند العجز عن التسمية بالكنه؛ التسمية بالصفة أو بالوظيفة أو بالنسبة على ما سوف يأتي بيانه.

ثانياً: التسمية بالصفة

وفيه يقوم المعرف بذكر أبرز صفات المعرف بما يخرج من حيز العموم إلى إطار الخصوص، فلا يدع للذهن مجالاً لأن يختلط عليه أمره بتوارد ما يشابهه في صفته. ففي حالة السكين عليه أن يكمل التعريف على النحو التالي: " هي قضيب من حديد حاد شفرته".

ثالثا : التسمية بالوظيفة

غير أن التعريف على النحو السابق، وإن كان قد ضيق أمام السامع فرصة أن يختلط المعرف بغيره، إلا أنه ما زال يفتح الباب مواربا إلى توارد المرادف القريب لما قد تم تسميته، حيث قد يختلط تعريف السكين لدى السامع بتعريف "الخنجر" مثلا، لذا فعليه أن يضم للتعريف بالصفة التعريف بالوظيفة فيذكر من وظيفة السكين بأنه (يُقَطَع به) فيكون تعريفه على النحو التالي:السكين: هي قضيب من حديد، حاد شفرته، قاطع نصله"

رابعا : التسمية بالنسبة

التعريف السابق يحتاج لأن نردف المعرف بنسبته إلى غيره، إذا الهدف منه تحقيق التوازن بين تعميم الصفة وتضييق المعنى، غير أنه في حالات معينة لابد وأن تسبق التسمية بالنسبة الحالات الثلاثة السابقة، فمثلا: إذا أردنا تضييق المعنى أكثر نقول: السكين هي قضيب من حديد، حاد شفرته، قاطع نصله، يستخدمه الجزار في الذبح " فحينئذ نجزم بأن المعرف يقصد نوعا معينا من أنواع السكاكين (الساطور مثلا) إذ قام بنسبة المعرف إلى شخص معين.

حالات التسمية بالنسبة: حين يعجز المعرف عن تعريف مدلول ما، عجز عن تعريفه بالوظيفة أو بالصفة (وطبعا بالكنه والماهية) فما عليه إلا أن يتجه صوب العلاقة، أو النسبة، وذلك بإقامة العلاقة بين هذا المجهول الذي يعرفه، ومعلوم تربطه بينه وبينه علاقة: إما أن تكون هذه العلاقة هي: علاقة المجاورة (في المكان)، أو المشابهة في (سبب أو نتيجة) أو التوافق (في حالة أو زمن) أو عن طريق أي علاقة تجمع بين المتغيرين ذوي الشبه.

• كيف يمكن تطوير النموذج السابق للاستفادة منه في العلوم الإنسانية؟

قلنا أن طرقا أربعة تفترق بها التسمية عن التعريف، فتخرج من مجرد كونها علاقة خطية سطحية بين متغيرين، يعرف أحدهما الآخر. وأن هذه الطرق الأربعة هي:

التعريف بالطبيعة، التعريف بالصفة، التعريف بالوظيفة، التعريف بالنسبة أو العلاقة، وهذه الأربعة السابقة، يمكن من خلالها وضع نموذج أو تصور منهجي، أو أداة منهجية يمكن الاسترشاد بها في تعريف مصطلحات العلوم الإنسانية.. كيف؟

التعريف بالمعنى اللغوي	التعريف بالطبيعة
التعريف بذكر الخصائص والصفات	التعريف بالصفة
التعريف بالهدف والغاية	التعريف بالوظيفة
التعريف من خلال الربط بالمصطلحات ذات الصلة	التعريف بالنسبة

جدول رقم (٢) طرق التعريف للمصطلح العلمي

مثال عملي لاختلاف التسمية تبعاً لشرط المطابقة

الخلافاً حول تسمية العقل

يمثل تعريف العقل في التراث الإسلامي إشكالية، تتمثل في وفرة من التعريفات المتباينة التي يصعب تفسيرها. والباحث من خلال النموذج السابق للتعريف، يتعرض لعينات من تلك المفاهيم، يحاول فك إشكالياتها من خلال نمودجه المقدم. ويرى الباحث أن أوجه الخلاف في تسمية العقل، لا يرجع بالضرورة إلى الاختلاف في التوجه (أيديولوجيا المسمي)؛ بقدر ما يرجع إلى الخلاف في الطريقة (طريقة التعريف نفسها، تبعاً لما يريد المعرف أن يسميه من العقل)، وهكذا تصبح طريقة التسمية ومنهجيتها، مثاراً للخلاف حول مسمى العقل ذاته، فإما أن يسميه أحد بكنهه (وهو بالضرورة مجهل هذا الكنه ولكنه توقع مُنخَّل)، أو يسميه أحدهم بوظيفته (وكل واحد يرى وظيفته تبعاً لفكرته عنه) أو يسميه بصفته (ومن يركز منهم على صفته حال النمو، غير من يركز على صفته حال البلوغ؛ إذ الصفة متغيره تبعاً للموصوف)، ومنهم من ينسبه لغيره (يقيم العلاقة بينه وبين مكونٍ سواه) .

وهكذا نرى أن أساس الخلاف حول العقل، إنما تولد من الخلاف حول هذا الشرط بالذات؛ وهو شرط المطابقة بين المسمى ذاته، وخصائصه التي يتأولها البعض (أو يختلفون عليها) أنها فيه:

أولاً : من يسمون العقل بطبيعته

قيل: العقل: جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، وقيل: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف. والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة^{٢١}. وقال آخرون: هو جسم شفاف^{٢٢}.

ثانياً : من يسمونه بصفته

وهؤلاء ينقسمون فيما بينهم تبعاً لحال الموصوف ذاته:

١. فمن يركّز على صفته حال الخلق يعرفه بأنه (الغريزة): " العقل: الغريزة التي في الإنسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان؛ فيها يعلم، وبها يعقل، وبها يُميّز، وبها يقصد المنافع دون المضارّ "
٢. ومن يركّز على صفته حال البلوغ، يعرفه بأنه (التجربة). " وسئل أعرابي عن العقل فقال : لبّ اغتمته بتجريب^{٢٣}."
٣. ومن يركّز على عموم ما يميّز به الإنسان عن غيره يعرفه على النحو التالي: " وإنما سمي عقلاً، لأن الإنسان يمنع نفسه به عما لا يمنع المجنون نفسه عنه^{٢٤}."

٢١ - الجرجاني: التعريفات، القاهرة، دار الفضيلة، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، د.ت

٢٢ - الأندكيا لأبي الفرج الجوزي، تحقيق محمد مرسي الخولي، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ط١،

١٩٦٩م

٢٣ - المرجع السابق، ص٩

٢٤ - حسني زينة: العقل عند المعتزلة، تصور العقل عند القاضي عبد الجبار، منشورات دار الآفاق الجديدة،

بيروت، ط٢، ١٩٨٠، ص٢١

ثالثاً: من يسمونه بوظيفته

تختلف التسمية بالوظيفة تبعاً لتوجُّه المعرّف فيما يسميه:

١ - فمن يرى أن وظيفة العقل هي العلم، يعرف العقل بدلالة العلم: " اعلم أن العقل هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة، متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف^{٢٥}. وَعَقَلَ الشَّيْءَ، إِذَا عَلِمَهُ، أَوْ عَلِمَ صِفَاتِهِ؛ مِنْ حَسَنِ وَقُبْحٍ، وَكَمَالٍ وَنَقْصَانٍ، فَأَمْسَكَهَا، وَأَمَكْنَ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ. فَالْعَاقِلُ خِلَافَ الْجَاهِلِ؛ يَحْبِسُ نَفْسَهُ، وَيَمْنَعُهَا عَمَّا يُوقِعُهَا، وَيُرَدِّدُهَا عَنِ هَوَاهَا، وَيُمْسِكُ مَا يَعْلَمُهُ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ، فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ^{٢٦}.

٢ - ومن يرى أن وظيفة العقل الفهم، يعرف العقل بأنه الفهم: وَالْفَهْمُ وَالْبَيَانُ يُسَمَّى أَيْضاً عَقْلاً؛ "لأنَّه عن العقل كان، فيقول الرجل للرجل: أَعَقَلْتَ مَا رَأَيْتَ، أَوْ سَمِعْتَ؟ فيقول: نعم، يعني: أَنِّي قَدْ فَهِمْتُ، وَتَبَيَّنْتُ. وَالْعَرَبُ إِنَّمَا سَمَّتِ الْفَهْمَ عَقْلاً؛ لِأَنَّ مَا فَهِمْتَهُ فَقَدْ قَيَّدْتَهُ بِعَقْلِكَ، وَضَبَطْتَهُ. فَمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ عَقْلاً إِلَّا لِأَنَّهُ يُمَسَّكُ مَا عَلِمَهُ، وَيَضْبَطُهُ، وَيَفْهَمُهُ؛ فَيُقَالُ: عَقَلَ الشَّيْءَ، إِذَا فَهِمَهُ، فَهُوَ عَقُولٌ^{٢٧}.

٣ - ومن يرى أن وظيفة العقل حفظ الإنسان عن القبائح .. يعرف العقل بأنه الحجر والمنع: " وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ: إِنَّ الْعَقْلَ فِي اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى الْمَنْعِ وَالْحَبْسِ. وَوَجْهَ تَسْمِيَةِ الْعَقْلِ بِهَذَا الْاسْمِ: كَوْنُهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عَنِ التَّوَرُّطِ فِي الْمَهَالِكِ، وَيَحْبِسُهُ عَنِ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ^{٢٨}. الْعَقْلُ لُغَةٌ الْمَنْعِ لِمَنْعِهِ صَاحِبَهُ مِنَ الْعُدُولِ عَنِ سِوَاءِ السَّبِيلِ^{٢٩}.

^{٢٥} - المرجع السابق، ص ٤٦

^{٢٦} - لسان العرب، وتاج العروس: عقل

^{٢٧} - عبد القادر صوفي: العقل تعريفه، منزلته، مجالاته، ومداركه، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية

تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق عدد ٩٧، السنة الرابعة والعشرون، آذار ٢٠٠٥م

^{٢٨} - المرجع السابق، ص ٤٥

^{٢٩} - الحدود الأنثيقة والتعريفات الدقيقة، للأنصاري، عقل

رابعاً: من يسمونه بنسبته إلى غيره

١ - النسبة إلى المحل

قيل: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل^{٣٠}. وقيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب^{٣١}. والعقل عند أوائل الصوفية: غريزة في قلوب الممتحنين من عباده، أقام به على البالغين الحجة، يولد العبد بها ثم يزيد^{٣٢}.

٢- النسبة إلى غيره من المكونات

قيل: العقل والنفس والذهن، واحد، إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة، وسميت نفساً لكونها متصرفة، وسميت ذهناً لكونها مستعدة للإدراك.

٤. شرط القبول = (يقبله أهل التخصص)

قلنا قبل، أن من شروط صحة التعريف، شرط الممارسة، وذلك مرهون بوجود الباحث الجيد، موقوف على المبحوث المختار بعناية، وبهذا يكون التعريف أشبه بالحبل (أو الرابط) طرف في يد الباحث والآخر بيد أهل التخصص، ويكون معيار نجاح التعريف تداوله. وتداول التعريف موقوف على مُحكِّميه، وهم أهل التخصص في كل علم. الذين هم أدري الناس بحقيقته، أعلم الناس بخباياه. وشرط قبول التعريف من أهل التخصص موقوف على ما يلي:

صحته في ذاته (لا لغته، فهي بند قادم)، وصدقه فيما يخبر عنه، فضلاً عن الحاجة الماسة إليه. وقدرته على تفسير ما وضع من أجله. وهذه الشروط تخرج "المفهوم" من مجرد كونه تصور ذهني ينتمي إلى عالم التخيلات والتصورات فحسب، لكن له شرط الواقعية، إذ هو مفهوم يُعبَّرُ به عن تمثُّلات حقيقية واقعية، تمثل بنية العلم ومادته. وكلما كان المصطلح أكثر قدرة على التفسير لأكبر عدد من المضمونات التي يختزلها

٣٠ - التعريفات للجرجاني، مرجع سابق، عقل

٣١ - المرجع السابق، عقل

٣٢ - محمود عبد الرازق: المعجم الصوفي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٢م

كان أوفى في الدلالة أغزر في المعنى، أكثر في التداول. والمصطلح بهذا المعنى يخضع لما تخضع له لغة العلم ومتغيراته لقيم الصدق والثبات المتعارف عليها في منهجية البحث العلمي.

٥. شرط الصياغة = (بلغه محكمة مختزلة)

قلنا أن قاعدة التسمية عند العامة عمادها أن: (أي شخص يسمى ما يريد) ونضيف إليها (بالطريقة التي يحب)، فليست هناك قواعد على طرق التسمية أو لغتها، أما في التعريف العلمي، فإن الطريقة تخضع لمعايير، واجبٌ تحققها. من هذه المعايير ما يتعلق بشرط الصياغة. والمقصود بالصياغة الطريقة التي يشتق بها الباحث مفهوماته من جذورها اللغوية، أو طريقة الصك التي يصك بها مفهوماته بحيث تقبل ويتم تداولها على نحو فعال. والمصطلح بوصفه "ملفوظاً، ومكتوباً" فإنه (ابن لغة)، ترجع مادته، وأصوله إلى هذه اللغة التي يُعبّرُ بها عن الأفكار والمعاني. لذا فمن الواجب إمام الباحث، ليس فقط بجذور المفهوم من حيث الدلالة المعجمية وحسب، بل أيضاً الدلالة الاستعمالية، ومدى التطور الدلالي لمسيرة المصطلح، أيضاً التعرف على الحقل الدلالي للمفاهيم ذات الصلة به، والتي يؤدي عدم التعرف عليها من حدوث تداخل مفهومي ليس فقط في أصوله وجذوره اللغوية؛ بل ربما أيضاً في شبكة علاقاته المصطلحية في حقول علمية قريبة الصلة به. لذا فإن (نحت) المصطلح يحتاج من (مسميه) إلى وفرة دلالية ضخمة، وقاعدة تخيلية رصينة، وسفراً بلا حدود في عوالم المفاهيم من أجل أن يكتب لمصطلحه الخلود تداولاً، واستعمالاً، وإقبالاً. وفوق ذلك تميزاً وتفرداً.

المراجع

١. أحمد سعيد سعيدان: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، عدد ١٣١، نوفمبر ١٩٨٨م
٢. الجرجاني: التعريفات، القاهرة، دار الفضيلة، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، د.ت
٣. الجوزي (أبي الفرج ابن الجوزي): الأذكياء ، تحقيق محمد مرسي الخولي، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ط١، ١٩٦٩م
٤. جودت أحمد سعادة: مناهج الدراسات الاجتماعية، درا العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤
٥. حسني زينة: العقل عند المعتزلة، تصور العقل عند القاضي عبد الجبار، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠
٦. زكي نجيب محمود : المنطق الوضعي، ج٢، في فلسفة العلوم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٠
٧. سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٤م
٨. سعيد إسماعيل علي: التربية التحليلية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧
٩. سليمان الأزري: تحديات الفكر والثقافة العربية: في الفكر والأدب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨
١٠. عبد القادر صوفي: العقل تعريفه، منزلته، مجالاته، ومداركه، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق عدد ٩٧، السنة الرابعة والعشرون، آذار ٢٠٠٥م
١١. عماد الدين خليل: مدخل إلى إسلامية المعرفة، مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة (٧)، ط١، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م

١٢. فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في التربية الدعوية ، سلسلة كتاب الأمة، دورية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد ٤٧ ، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥م،
١٣. فؤاد زكريا: التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد الثالث، ١٩٧٨م
١٤. محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون: مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية، بالإسكندرية، ١٩٩٧
١٥. محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، القاهرة، دار الاعتصام
١٦. محمود عبد الرازق: المعجم الصوفي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٢م
١٧. مصطفى السباعي: هكذا علمتني الحياة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م
١٨. مفيدة محمد إبراهيم: القيادة التربوية في الإسلام، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧
١٩. يمني طريف الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية ، تقنينها وإمكانية حلها، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٩٩٦